حيوانيّة من النجوميّات الشكل والهلاميّات وذوات المفاصل وبعض ذوات القشرات التي صيرت انواعها منذ ذاك العهد السحيق الى يومنا دون ان يطرأ عليها اختلاف يُذكر ولا تحوّل البتّة. فلو صحّ قول هؤلاء العلماء المتدلين لوجدنا سنداً لقولهم في تحوّلات هذه المبروزات الاوّليّة فثبوت انواعها يردّ مزاعمهم

وعلى كل حال اننا لم نشأ ان نُنهي تماماً ببطلان هذا التحوّل النوعي المحصور في نطاقٍ ضيّق وانما ننتظر وجود ادلّة متقنة توجب برَذْله بتاتاً او بقبول بعض آرائه. فان هذه اقوالٌ علميّة لا دَخل لها في حقائق الايمان التي وحدها تبقى ثابتة الى الأبد لا يستطيع العلم البشري أن يزعزع اساسها المتين وهي مبنيّة على الحقيقة الازليّة التي لا يحجب نورها غمام (تمّ)

ذكرى لوفاة نابوليون الاوّل

لحضرة الخوري بطرس صفير

جرت هذه السنة احتفالات عظيمة في فرنسة تذكاراً للمئة الاولى من وفاة نابوليون الاوّل فكتبت الجرائد فصولاً شائقة أعادت فيها الى الاذهان ذكر ذاك الداهية الذي طبّق اسمهُ المعمور. فرأينا بهذه النسبة ان نروي بتصرُّف قصّة ظريفة قرأناها في المجلّة الفرنسويّة «المطالعات للجميع» تحت عنوان «ببغاء ملك رومية وغليوم امبراطور المانية الحليم»[1]

بعد ما ناصب نابوليون العداء ملوك اوربّة وامراءها وقد اجتمعوا عليه عشرين عاماً وبذلوا على حربه المُهَجات كان أن ظفروا اخيراً به وغلبوهُ على امرهِ واكرهوهُ على عكس ما كانت تطمع اليه نفسه من الفتوحات والغنائم فاقاموه في قصر فونتنبلو وفيه تمّ امر خلعهِ وتخليه عن الملك لابنهِ وتسييره الى جزيرة إلبة محلّ منفاه

(١) اطلب Lectures pour Tous. *Avril*, 1920, *pp* 937

فانصرف عنهُ الانصار والاعوان وبقي في سجنه الفخيم ينتظر يوم ابعادهِ وقد أذن لمن ازادمن رجالهِ ان يظلَّ في القصر في عداد من عُيّنوا لخدمهِ . ومما تركوا لهُ من مشتهياتهِ بيضاء كانت زوجتهُ الاولى جوزفين احضرتها من جزائر اميركا فراقتها ولذَّتها كلمات كانت تثير في نفس نابوليون عند سماعها عواطف الابتهاج وهي : فريدلند ! ريفولي ! فكزام ! اوسترليز ! ايلو . وهي اسماء مواقعه وانتصاراتهِ الشهيرة . ومثلها الفاظ اخرى عسكريَّة يقولها الجند كانت البيضاء تلذُّها

فلمَّا كان مساء ذلك النهار المشئوم سكنت الضوضاء في القصر شيئاً فشيئاً وسادَ فيهِ الهدوءُ فجلس نابوليون قرب نافذة يسامر النجم ساهرَ الطرف مفكرًا حيران يتسمَّع ضجيج العربات المتباعدة وهو عارف انها تقلُّ آخر من انصرفوا عنه جبانةً وكم كانوا جاهروا لهُ بانَّ روابط تعلقهم بهِ واخلاصهم له لا تفصم عراها طوارئ الايام . عملٌ كان لهُ في نفسهِ وقع اشدّ من وقع النصال . وقد زاد في نفسهِ انقباضاً علمهُ بان اعداءهُ لا يسمحون ان يرى قبل سفره الى المنفى الامبراطورة زوجتهُ ولا ابنهُ الوحيد الذي ضحَّى النفس والنفيس في سبيلهِ . وقد تحقَّق ان ابنهُ سيسلَّم الى احد اعدائهِ السياسيين اعني جدَّهُ امبراطور النمسة

واذ لم يهدأ لهُ بال ولم يغمض لهُ جفن عصاهُ تجلُّده وخرج من غرفتهِ كأنهُ يريد الفرار من هواجس ضميرهِ المزعجة . فبلغ الى اسفل الرتاج واذ بالسكوت سائدٌ مالئٌ الديار والخلاء لا يسمع غير حفيف الاشجار ووقع الاوراق تتساقط من على الاغصان . فرأى احد الانفار واقفاً متَّكئاً على بندقيَّتهِ فتوجَّه اليهِ ولعلَّ هذا الجندي كان يعمل الفكر مليًّا بما مرَّ امامهُ في ذاك النهار فلم يشعر بدنوّ نابوليون . وهما لكذلك اذ طرق أذني الجندي فجأةً صوتٌ يتهدَّدهُ : « الحذر ! الحذر ! » وهي الكلمة التي ينبه بها الجنود قوادهم في حركاتهم العسكرية

فالتفت فاذا بالامبراطور بجانبهِ فرفع بعجلة بندقيَّتهُ وحيَّاه باكرام وهو خجلٌ من تغافُلهِ . وقد اعترت نابوليونَ نفسهُ رجفةٌ لدى سماعهِ فجأة صوت الآمر « الحذر ! الحذر ! » غير انهُ لم يلبث ان تبسَّم في فتور وانقباض عند ما عرف ان هذا هو صوت البيضاء العزيزة على مقربة منه في قفصها الذهبي فانها اذ أحسَّت بدنوّ سيدها ردَّدت لهُ ما قد تعلَّمت فمدَّ الامبراطور اليها يدهُ يلاطفها وكأنهُ شعر بانكشاف بعض الهمّ

عنهُ عندما لاعبت اصابعهُ ريشَ الطير الناعم فصارت تلحسها بلسانها الخشن

ثمَّ رجع نابوليون الى الجندي ووضع يدهُ على كتفهِ بلطفه المعهود ولطالما كان هذا اللطف وسيلةً فعَّالة لدفع الجنود الى اقتحام المخاطر عن رضى وارتياح. وقال لهُ: ما اسمك؟ . قال: اسمي فلامبو (سراج). قال: كم شهدت واقعةً وانتصاراً؟ قال: كنت في كل انتصاراتك مولاي . قال: كم اصابك فيها من الجروح؟ قال: عشرون

فردَّد نابوليون: يا للوفاء! يا للشهامة! عشرون جرحاً وهو لا يزال ثابتاً على العهود في حين انَّ من غمرتهم بالاحسان أعرضوا عني مسرعين .

قال الجندي وفي صوته ارتجافٌ: آه مولاي أشرْ الينا اشارةً فقط ترَ منَّا مئتي الف بطل مستعدين ان نهبَ ونفديك بارواحنا

قال نابوليون: كلَّا يا صاح حسبُ فرنسا ما نالها من العناء بسبب الحروب لِنَدَعها تضمد جراحاتها فعليكم الآن بالسكينة . أليس لك ولد ينتظرُك في بيتك؟

— لي ابنة مولاي

— عُد اليها شاكراً اذ انهم لم يسلبوك اياها كما فعلوا بي . . .

— لكنهم سيدي سيردُّون اليك ابنك ملك رومية ألم يتعهَّدوا . . .

— دع عنك هذا الكلام فانَّ الوفاء بالعهود لا يُعرف عند من يخالط الالمان كثيراً ام قليلاً . وكذلك النسة فانها ستُرجع بالشمال ما اعطتهُ باليمين لانهُ اذا كانوا منعوا الامبراطورة وملك رومية من الحضور هنا فليس ذلك ليسمحوا لها ان يوافيا الى جزيرة مَنفاي . . .

ثم كفَّف الامبراطور يديه وسرَّح نظره بعيداً وقال تخنقهُ الحسرات: ليت شعري هل من امرٍ افظع من هذا وهو ان يُنفى والد ولا يُسمح لهُ أنْ يدفع لابنهِ الصغير تذكاراً؟

فاقترب الجنديُ وانحنى امام نابوليون وقال: مولاي هل من وديعة ام من تذكار انقلهُ الى وحيدك او الى امهِ فاني بجثتك اسلمهُ الى من تريد ولو كان ذلك في اقاصي الارض

وكان الامبراطور رجع الى البناء ينظر اليها نظرة الحنان وهي تمضُّ قضبان

قنصها الذهبية وبعد ان تردد هنيهة دنا من الجندي وقال له : قد رضيتُ بما طلبت مني لانَّ مثلك جنديًا أُصيب بعشرين جرحاً حيًّا لسيده لمثن يؤتمن على كل نفيس عزيز . انظر هذا القنص ارغب اليك ان تحمله الى ملك رومية وتخبره بامر هذا الطير . قل له : «انه هديَّة ممن اجمعتم على تسميتها جوزفين الحنون وهي علمته ارضاء لخاطري كلمات الاوامر المألوفة واسماء انتصاراتي واذكر له انَّ هذه البيغاء ردّدت هذه الاصوات في احدى الليالي السالفة حين كان احمد الخوّنة مستلًا خنجرًا ليفاجئني بطعنةٍ فذُعِرَ من صوتها فتجرتُ . . . قل له ان يتذكر ويكون دائمًا على حذر فان الذين قد رموا النَّسر لا يبعد ان يصوّبوا سهامهم على فرخه . . . »

فسالت الدموع من عيني الجندي متحدرةً على خدّيه وقد لوّحتهما الشمس والاتعاب تلويحًا ثمَّ قال : سأُسلمُ القنص الى سيدي ابنك مهما كلفني الامر

. قال نابوليون : لله درُّ هذه الهمَّة ! خذ هذه البَدْرة فانت لاشكَّ محتاج الى بذل المال وسأعطيك تذكرة مرور ولا غرو انهم سيعتبرونها اذ لم يعودوا يخشون مني اذيةً . ثم اسند يده على متكأ الدرابزون ووقّع التذكرة ثم ناولها وهما ساكتان وعاد الامبراطور الى قصره يمشي الهوينا بينما كان الجندي واقفًا رافعاً بندقيته ليحيّي مليكهُ للمرَّة الاخيرة والبيغاء لا تزال تصيح بشدَّةٍ وبغير انقطاع كلمات تعيد الى الذهن امجادًا بائدة : « فريدلند ! ريفولي ! فكرام ! اوسترليز ! ايلو ! »

٢

مرت ستَّة اعوام على هذا الوداع ولم يعد ابن نابوليون يُدعى بملك رومية بل لُقِّب بدوك رِشتاد وقد بلغ التاسعة من عمره وهو في قصر شونبرُون قصر امبراطور النمسة وعُيِّنت لهُ الغرفة نفسها التي اختارها ابوه حين دخل هذا القصر ظافرًا واقام فيهِ مع اركان حربهِ في السنتين ١٨٠٤ و ١٨٠٩ حين وقّع على معاهدة الصلح مع النمسة . وكان الولد ذا منظرٍ بهيٍّ وطلعة وقَّادة يزيد حسنهُ شعرهُ الاشقر المتجعد المسترسل على كتفيه . غير انه كان ضامرًا قلق البال سريع الحركات غير ميَّالٍ نظير الاولاد الى اللهو والضحك والالعاب . ولا غرو فان أمَّهُ لم تكن لتكترث بهِ اذ كانت في مدينة بارمة بين حاشيةٍ لها منصرفةً الى الملذات مع ذوات جنسها .

وكان أخفي عن الولد ان اباه كاد يقضي نحبهُ فريسة الاشجان في جزيرة القديسة هيلانة حيث نُفي . ولم يكن مصاباً في قصر شونبرون ما يستأنس بهِ او يرتاح اليه ممن كان يقربهُ . فان جدّه الامبراطور كان شيخاً طاعناً في السنّ عبوساً قليل التكلم كثير الظنون لا يلاطف حفيده الّا بتكأفٍ وتحفُّظٍ . فلا عجب اذ لم يَمِلْ قلب الفتى الى محبّتهِ كما انه لم يودّ من كان يخدمهُ ويهذّبهُ من الاوانس اذ لم يأنس فيهنّ ما تعوّده من اللطف واللين في المربيات الافرنسيات وزِدْ انه لم يجد في هواء شونبرون وسمائها شيئاً من النقاء والصفاء اللذين ألفهما في عاصمة فرنسة

فاتفق انه ذهب يوماً مع احدى مهذّباتهِ قصد ترويح النفس في حديقةٍ فجلست المعلّمة وصار هو يتجوّل في الحديقة الى ان ابتعد مسافةً وبلغ احدى مضايق البستان فرأى فيهِ فتاةً بالثانية عشرة من عمرها قائمة بين الاعشاب والازهار وقد ادهشهُ مرأى بنياء بالقرب منها غريبة الشكل تردّد بلا انقطاع كلماتٍ افرنسيةٍ . . . . فاسرع اذ ذاك نحوها وسألها : « من اين هذا الطير ؟ — قالت : من فورتنبلو — قال : من اعطاكِ اياه ؟ قالت : ابوك الامبراطور سلّمهُ لأبي وكلفه ان يقدّمهُ . . . (واضافت بكل احترام) « لجلالتك »

فقاطع هذا الحديثَ ظهورُ المعلمة وقدومُها اليهما فسارت الابنة ومعها البنياء واختفت بين الاشجار كي لا تقف المعلمة على مطاوي حديثها واضطرّ الولد ان يرجع مع مهذبته الى القصر . وحدّث ولا حرج ما ابقت هذه المقابلة في نفسهِ من القلق والاضطراب . . .

وفي اليوم التالي كان الفتى جالساً في غرفتهِ كئيباً نظير السجناء غير مبالٍ بالطيور التي كانت تغرد على نافذتهِ وقد سقط الكتاب من يدهِ على الارض وهو غائص في بحر التأمل والافكار . وكانت المعلمة النساوية تشتغل في التخريم على مقربة من النافذة فرفعت اليهِ رأسها وقالت : هل حفظتَ امثولتك يا سيدي ؟ فتولت الاميرَ رجفةٌ واسترجع كتابه بالرغم عنه وقال : كلّا . فتركتَ شغلها ودنت منه وقالت : عليك ان تجتهد فيما بعد وتتعلمها وسأرجع اليك لتتلوها على مسامعي . فاجابها وهو يتكأف البشاشة : نعم .

ولما خرجت المعلمة وأقفلت الباب وقف الامير ورمى بكتابهِ مغضباً وقد علت

على محياه علائم الامتعاض وقال : لا لا . وذلك لانه لم يقف على استظهار اسماء حروب وجدها في كتابه لم يكن النصر فيها حليف فرنسة وقد شق عليه ان يسرح البصر في كتابه لم يرَ فيه بزّات الحرس الامبراطوري الفرنساوي بل صوروا فيه اعداء فرنسة بملابسهم الصفراء والبيضاء . فلم يلبث ان وقف يتسمع فأرعبته قرعة غير منتظرة على باب غرفته واول ما خطر بباله ان للسير متّرنيخ داخل عليه بصلفه كما فعل سابقاً بجمعية زوار ليسوا على شيء من الظرف والآداب يتلفتون في غرفته ذات اليمين وذات الشمال كانهم يحاذرون رجلاً مختبئاً في احدى الزوايا مضمراً لهم الشر

وكاد الغلام يصيح جزعاً اذ فُتح الباب على مهل فتثبّت من القادم اليه واذا هي فتاة كسا محياها التعب ثوباً من الاصفرار وقبل التحية اشارت عليه ان يلزم الصمت وابدت له هيئاها الفتّانتان انها هي الابنة التي التقى بها صدفةً في احدى مضايق البستان وعرّفته بنفسها انها ابنة احد الحمراء الفرنسويين . ثم تقدّمت بكل لطف واظهرت له من بين ثنايا ثوبها قنصاً ذهبياً تتخطر ضمن قضبانه البيضاء بدلالٍ وخيلاء فاستقبل الامير الطير الامين بذات الحفاوة التي ودّعه بها أبوه الامبراطور في تلك الليلة الظلماء فمدّ يده بلاطفه بانبساطٍ فشرع الطير يردّد صدى الدروس العجيبة التي تلقنها من احفاد نابوليون الخالدة من فم الامبراطورة الاولى

وبين تفاريد البيغاء كانت الفتاة تواصل سرد تفاصيل اخبارها على مسامع الامير قائلةً : ان اباك الامبراطور قال لابي : عليك بايصال هذه البيغاء الى ابني ملك رومية مهما كلّفك الامر فنقلها والدي الى باريس ومنها الى بلوا ثم الى ليون ثم الى ڤينة ولقد تكبّد في سبيلها مشقات واخطاراً ولا تزال حياته معرّضة للهلاك كل يوم في هذه الايام اذ انه كاد اكثر من مرّة يُرمى بالرصاص كجاسوس ولكن كل هذا لم يكن ليثنيهُ عن الوفاء بأيمانه وقد قمتُ انا ووالدتي نتبعه اينما سار للقيام بخدمة جلالتك عند ما تبلغ اشدّك لان جلّ رغائبنا ان نساعدك في تخليص والدك

— وهل ابي باقٍ في جزيرة إلبة ؟

— كلّا بل في جزيرة اخرى .. وهي ابعد من الاولى

ثم أخذت الفتاة تردد على مسامعه اخبار والده فوصفت فيها العساكر الجرارة

الخافقة فوق رؤوسها أعلام النصر كيف دكّت الحصون الحصينة وأرهبت الملوك والسلاطين الى ان دخل الامبراطور ظافراً الى هذا القصر وما كان من أمره فيه

فكان الامير الصغير مقبلاً على الفتاة بشوق يردّد ما تقول بصوت منخفض قصدَ ان تعلق هذه التذكارات في قلبه فلا تقدر على نزعها منهُ الايام مهما تناهى الناس في الصلف فقال لها بعد هنيهة : زيديني من اخبار والدي لأزيد بها ابتهاجاً . واذا بالبيضاء انتصبت والتهبت عيناها التهاباً وانتفش ريشها وهتفت بصوتها الحادّ هتاف الاستنجاد المعروف : الحذر ! الحذر ! فخاف الولدان وابتعد الواحد عن الآخر واختفت الابنة القفص تحت ردائها واسرعت الى ستارهناك واختبأت خلفهُ . فعند ذاك فتح الامبراطور جوزف الثاني الباب بغتةً ودخل عابس الوجه كالحاً متجهماً وقال لحفيده : هل احسنتَ شغلك اليوم يا فرنتز ؟ فتردّد الامير الصغير هنيهةً غير ان ذكر لبيه نبّه منهُ حمية كانت راقدة وشعر بنشاط جديد سرى في عروقه فافتر عن ثغره الدري بابتسامة لطيفة وقال بشدة : نعم نعم يا جدّاه ! اتقنتُ الشغل اليوم . قال ولم يكذب لان اسماء جديدة علقت في ذهنه وهي لعمر الحق اسماء مجدٍ وافتخار . وبينما كان فرنسوا الثاني مبتعداً عن حفيده في اروقة قصره وقد خيّم فيها السكون والظلام بدت الفتاة من وراء الستار وشرعت البيضاء تطرب آذان الامير بنغماتها : فريدلند ! ريفولي ! فكرام ! اوسترلتز ! ايلو ! . .

٣

كرّت مائة سنة على ما جرى في قصر شونبرون وقد قضى كل مَن فيه وتبدّل ولم يبقَ ممّن حضر تلك الحوادث الّا البيغاء . ولعمري هو انعام غريب في بابه خُصّت به تلك الخلائق المتكلمة من غير فهم وعقل (وقد ثبت لدى علماء الحيوان ان بمعدل عمر البيغاء والغراب مئتا سنة) ولم تزل معروفة باسم ببغاء ملك رومية وكانت لا تفارق قضيباً ذهبياً في مدخل قاعة الاستقبال الكبرى متشبثةً به مرتجفة الرأس محمرّة العينين منتفشة الريش لا تنفكّ عن لقطها

فلما كان مساء اليوم العشرين من تموز سنة ١٩١٤ على عهد الامبراطور فرنسوا جوزف وله اذ ذاك من العمر تسعون عاماً حدث في قصر شونبرون حركة غير مألوفة وقد اشغل الخواطرَ وصولُ نقّالة البريد الامبراطوري بكثرة لم يعهدوها وصدرت

لاوامر العليا بان يلازم كلٌ مكانه ولا يحضر احد المقابلة السرّية المنتظرة الّا امبراطور وحدهُ . واذا بسيّارة ضخمة تنهب الارض نهباً وقفت على مدخل القصر قد أُسدلت الستارات على نوافذها فاسرع الامبراطور الى باب القصر ليتقبل ذاته اذا رجل مفتول الشاربين في احدى ساعديهِ شوهٌ احدهما اقصر من الآخر خرج من ستارة وكان هذا القادم غليوم الثاني امبراطور المانية

فتعانق الامبراطوران ولمّا صارا في مدخل البهو الكبير توقف غليوم لمحةً امام بيغاء وقد أحدقت بهِ ناظريها ثم هزّ كتفيه وقال بدهشة : « تُرى لم يمت بعدُ هذا طير المجنون ! »

وكان فرنسوا جوزف على ما هو مشهور عنهُ يعتقد بالخرافات فلم يأذن بقتل تلك البيغاء الغريبة مع انهم كانوا يهابونها ويبغضونها نظير سائر الاشباح التي يقال انها انها تتردد الى منازل عائلة هَبسبورغ—ففتح فرنسوا جوزف باب القاعة الكبرى لغليوم واشار الى غرفة قريبة جذبه اليها وقال : ليس في هذا البهو بل في غرفة منها (يريد الغرفة التي احتلّها نابوليون) لاننا مثلهُ نعدُّ الاستيلاء على كل العالم . وسار معهُ فرنسوا جوزف بالرغم منهُ حذرًا من إحياء تذكارات ميّتة

فدخلا الغرفة الصغيرة التي احتلّها نابوليون وسكنها ابنهُ دوك دي رشستاد الذي وعى سماعهِ اخبار ابنة الحقير فلامبو (سراج) شعر بالشرف الذي خوّلهُ ابوهُ بتسميتهِ ملك رومية . فتمّ اذ ذاك بين الامبراطورين الاتفاق على إشهار تلك الحرب الجهنّمية التي ذهب فيها عشرة ملايين من البشر في اراضي اوربة واسية وعلى سطح بحار العالم باسرهِ

لهما في تلك المؤامرة واذا بصوتٍ قوي سُمع وسط ذلك الليل المدلهمّ : الحذر ! الحذر ! فتغير لهذا الصوت لون الامبراطورين وقد اخذهما الدهش فقال فرنسوا جوزف سرًّا : ان فرنسة تسمعنا !

فتهكم غليوم وقال: هو الطير المجنون ببغاء ملك رومية ثم رفع خوذته يلوّح بها فوق رأسهِ وقال : الى باريس ! الى باريس ! عن قريب الى باريس ! . وبعد اعداد الجريمة افترقا . ولما مرّ غليوم امام البغاء توقّف وصار يتهدّدها ويداعبها بيدهِ السليمة ويحاول ان يستميلها اسماء انتصارات تطرب بسماعها الآذان الالمانيّة اي فاتزلو !

سيدان ! فهزت البيضاء رأسها وصارت تردد اسماء مجيدة تلقنتها في الماضي فريدلند ! ريفولي ! قكرام ! اوسترليتز ! إيلو ! فكأنها بلسانها الرشيق انبأته بما تضمر لهُ الايام من الانكسارات القريبة . فامتعض غليوم امتعاضاً وابتعد تحت اجنحة الظلام وللظلام يدٌ في ارتكاب المعاصي

٤

كانت نتيجة تلك المقابلة السرية اعلان حرب ضروس التهبت نيرانها خمس سنوات اقتتلت فيها الشعوب اقتتالاً وسالت الدماء فيها انهاراً ثم عقبها صلح اشرقت شمسهُ على المسكونة اذ دارت على غليوم الدوائر وبعد ان كان القيصرَ الباقي المهاب اضطرَّ ان يهرب من وجه الحلفاء ويلجأ طريداً شريداً الى بلاد هولندة باسم فردٍ مجهول من اسرة هوهنزولرن (وهي اسرة امراء بروسية) وهناك يقيم ضيفاً على الكونت بنتنك بمثابة اسير في قصر أميرونجن . وقد بات مستذلاً مهاناً باعين اخوانهِ الذين وعدهم بالاستيلاء على العالم باسرهِ وصارت تلتهب لهُ في قلوبهم نار البغضاء . واما المارشالية فقد انكروه الواحد بعد الآخر واولهم هيندنبورغ الذي كان غليوم سخط عليهِ وحطَّهُ من مقامهِ عن عتوٍ وكبرياء ثم لودندرف وفلكنهين الى البقية كلهم

فاتفق انهُ في صباح احد ايام الشتاء والماء تنهل انهالاً كان غليوم يسير في حديقة القصر غير مبالٍ بالسيول الجارفة تحت قدميه وكانت الغربان تنعق على اشجارٍ نزعت منها العواصف كل اخضرار فاذا بصوت طيرٍ غريب علا نعيق الغربان فوقف لهُ الامير متسمعاً وخيّل اليهِ انهُ يعرف لهجتهُ غير انهُ عند انقطاع الصوت فجأةً جزم ان هذا وهمٌ وتخيُّل فارتفع الصوت ثانيةً بنوع جليّ رغماً عمَّا فيهِ من الخشونة والغلظ وهتف مكرّرًا : الحذَر الحذَر !

فتذكر غليوم البيضاء التي سمعها في قصر شونبرون ساعةَ وقع على اشهار الحرب الطاحنة وشتَّان بين تلك الساعة وهذه وشتان بين حالتي غليوم . فعجّل المسير ليستجلي امر البيضاء المشؤومة وعبثاً حاول مَن معه ارجاعهُ عن قصدهِ خوفاً من العاصفة فوصل الى طرف الحديقة فرأى على مقربة من جدار غرفة حقيرة من خشب تجري على اربعة دواليب كبيرة لها باب وناقذتان معلّق عليها سلّم صغير وكان فيها رجلان

لوّحت وجههما لفحات الحرّ فحدق غليوم بناظريه في داخل الغرفة وسألهما: من انتما ؟ اجابا: نحن من التشاك (جماعة من النور)

— من اين قدمتما ؟

— من شونبرون في النمسة هرباً من المجاعة فيها

فكادت لا تقلّ غليوم رجلاه، فقال: من شونبرون ؟ لعلّ هذا الطير . . .

فقاطعهُ الغريب بقوله : صدق ظنُّك هذه ببغاء ملك رومية العريقة في القدم اشتريناها لتدور بها في البلدان ونرتزق منها بعرضها على الناس في المواسم . ولعمري لا افصح منها وكلماتها غريبة . ادخل سيدي ترَ ما يعجبك

فولج غليوم الغرفة واخذ الرجل الطير على اصابعهِ يلاعبهُ وقال: ثمّ درّ هذا الطير فانهُ يردّد . . .

فقاطعه غليوم: أعرف انهُ يردّد اسماء حروب قديمة جدًّا اصبحت نسياً منسيًّا

— عفواً يا سيدي واسماء حروب جديدة ايضاً فقد تلقّن اسماء انتصارات حديثة العهد اعظم من القديمة

وكأنّ الببغاء مشتركة في حديث صاحبها فصوّبت نحو غليوم عينيها السوداوين وقد رنّتا وتأكّلتا على ممرّ الايام وصاحت باعلى صوتها : لامارن ! ڤردون ! . . . لامارن ! . . . ڤردون ! . . . (وهما اسمان لوقعتين شهيرتين انتصر فيها الفرنسويون على الالمانيين)

فضحك اصحاب الببغاء . وأجفل غليوم مذعوراً ثمّ ولّى مدبراً تحت وابل الامطار ولم تزل الببغاء تعقب الصوت الآخر: الحذر ! الحذر ! لامارن! ڤردون! لامارن! ڤردون ! وبلغ غليوم غرفته في قصره وكأنه يحاول النجاة من هذا الصوت المشؤوم لكنّهُ لم يبرح يرنّ في اذنيهِ ولعلّهُ يصيح كمتخاس في ضميرهِ الى ان تحتكم العدالة الالهيّة حكمها في من جرّت كبرياؤهُ على البشرية ضروب الشقاء والدمار!